نباتات الزينة عند قدماء المصريين

للمهندس الزراعى حلمى ابراهيم سلامة

ناظر مدرسة دمنهور الزراعية الثانوية

لا شك أن الاهتمام بالأزهار يوجه الشعب إلى العناية بالفن والجمال والذوق السليم ، والغريب أننا نعلم ما للفن والجمال من أثر فى تهذيب النفوس ثم لا نعنى بالأزهار عناية المصريين القدماء أو الأمم الراقية ، مع أن أرض مصر تجود بها الأنواع الكثيرة من الأزهار التى قلما نقتنيها أو نستخدمها فى حياتنا اليومية . وقد لايحمل البعض منا زهرة واحدة فى العام أو يبذل لها قليلا من العناية والتقدير إلا إذا أهديت إليه أو قدمت فى مناسبة . وما زالى البعض يستحى من حمل الأزهار ويعتبره منافيا للوقار . ولست أنكر أن بيننا الشديد التعلق بالأزهار ، والحريص على أن يزين بها مسكنه ومكتبه، ولكنه قليل، وقليل منا من يضحى بقليل من وقته وماله ليتمكن من شراء الأزهار وأغلبنا يعتبرها من الكماليات التى ليس لها مبرر ولا تساوى ما يدفع فيها من ثمن ، وكم لنا فى الحياة الاجتماعية من أخطاء .

كان الشعب المصرى القديم من أكثر شعوب العالم ولعا بالزهور والنباتات المورقة وحب الطبيعة حين تتفتح عن ربيع جديد جميل ، فحينما ألقى المرء بنظره إلى الآثار وجد زهورا : فباقات من الزهر يقدمها الناس قربانا للآلهة ، والتوابيت تحاط بأكاليل الزهور ، وزخرف المنزل وزينته تتألف من عقود الأزاهير ، وتيجان الأعمدة تأخذ أشكال الزهور وأوراقها . وكانت أحب أمانى المصرى لروحه فى يوم البعث أن يعطيها النيل جميع النباتات المزدهرة فى أوقاتها ، وأن يسمح لها بأن ترف على أغصان الشجر التى غرسها .

كانت دراسة نباتات الزينة عند الفراعنة ، يكتنفها الإهمال ، ويرجع هذا إلى الحقيقة الواقعة، وهى أن الكثير من آثارهم الباقية تتصل إلى حد كبير بالمسائل الجنائزية والمعابد والمقابر حتى جاء « برُخش » Bruguch فكان أول أثرى

درس أحوال النباتات المصرية القديمة ، ثم جاء ج . بسلوكوا J. Passulaqua سنة ١٨٢٣م فأرسل إلى صديقه الأستاذ كونت Kunth فى ألمانيا نحو ٢٠ نوعا من النباتات التى استخرجت من مقابر طيبة فتعرف عليها وطبع أسماءها فى كتاب ظهر سنة ١٨٢٦م وفى سنة ١٨٥٠م اهتم الأستاذ أونجر Unger النمساوى بدراسة نباتات المقابر المصرية فكتب عنها كثيراً حتى اكتسب شهرة بعيدة لتمكنه من تطبيق الفكرة التى اختمرت فى نفسه ، وهى إذابة الطوب اللبن فى الماء وتبين أنواع النباتات المختلفة فى مستحلبه ، ثم جاء العالم لورت Loret ونشر أبحاثاً جديدة أنارت الطريق أمام رجال علم النبات والآثار ، ثم جاء «جورج شوين فورث» J. Sch. Furth العالم النباتى النمساوى الأصل ، الألمانى الجنس الذى اصطحب سنة ١٨٧٢م الرحالة جيهارد رولفس G. Rohlfs فى رحلاته إلى صحراء ليبيا ومكث أربعين عاما من سنة ١٨٦٣ إلى سنة ١٩١٤ يدرس شئونها النباتية ، وأخيراً تمكن فى غضون المدة الواقعة بين سنتى ١٨٧٥ و ١٨٨٨ م من دراسة النباتات المصرية القديمة فنجح فى تعريف نحو مائة نوع كان يستعملها الفراعنة فى الأكاليل والباقات الجنائزية التى وجدت فى التوابيت المحتـــوية على مومياتهم وبعض الأشراف من سنة ١٥٥٥ ق . م إلى سنة ٧١٢ ق . م ودون بها قائمة حفظت فى متحف برلين النباتى ، وكانت طريقته فى حفظ النماذج أن يعرضها لبخار الماء حتى تلين فيمكن تشكيلها بسهولة ثم يلصقها على ورق مقوى مبيناً عليها البيانات العلمية .

وأول من وصف النباتات المصرية العالم النباتى Prosper Alpini سنة ١٦٤٠ فى مؤلفه Pe plantae Egypte ، وفى سنة ١٧٦٢م أوفد العالم ليفيوس Linnoeus تلميذه Poter Farskal لدراسة النباتات المصرية وأخرج مؤلفه : Flora. Egyptiaca Arabica ، وفى عام سنة ١٨٤٦ زار مصر العالم النباتى Edmond Bossier وأخرج مؤلفه Flora Orienalis باللغة اللاتينية ، ثم العالم الألمانى George Volchens الذى درس النباتات الصحراوية وأخرج كتابا من الوجهة الفسيولوجية التشريحية : وفى عام ١٩١٢ ألف العالم النباتى الألمانى Mouschler كتابه Manual Flora of Egypt وفى عام سنة ١٩٢٩ وضع المغفور له الدكتور على ابراهيم رامز كتابه عن النباتات المصرية باللغة الألمانية .

وفى سنة ١٩٣٠ قام الأستاذ تاك هولم T. Holm السويدى الأصل ، وأستاذ علم النبات بجامعة القاهرة تساعده السيدة زوجته مسز فيفى تاك هولم Mrs. Fify T. H. بدراسة النباتات القديمة. ولما توفى الأستاذ تاك هولم أكملت زوجته البحث بمعاونة كلية العلوم فى القاهرة ، والأستاذ محمد درار الإخصائى النباتى بالمتحف الزراعى المصرى حتى أخرج كتابا عن النباتات المصرية القديمة «Flowers of Egypt. - الفلور المصرية» ظهر منها حتى الآن الجزءان الأول والثانى، وهو يعتبر المرجع الأول فى هذا الموضوع .

وهناك فى مريوط الآن ببلدة برج العرب يقيم الأستاذ دينيال أوليفار D. Oliver للبحث عن النباتات المصرية البرية ، وقد أخرج نيلى كتاباً باسم The Flora of Tropical Africa

ويحدثنا التاريخ أن الفراعنة كانوا يعتقدون أن الأرض كانت ماء وبحاراً قبل أن يخلق الله العالم ، ولم تسكن بها حيوانات ولا نباتات اللهم إلا الماء وزهرة اللوتس ، وهذا هو مبلغ تفكير قدماء المصريين فى تطور الكائنات الحية ، وقد ذهبوا فى تقدير زهرة اللوتس إلى أن الإله « رع » ظهر بين أوراقها وارتفع بأجنحته على شذاها ، وكانوا إذا بالغوا فى تمجيد ملك من ملوكهم رسموه صاعداً مع هذه الزهرة تحمله رائحتها فترى فى آثار الإله هور Hore الشاب يخرج حيا من أوراق اللوتس ، ويندر وجود أثر مصرى لم يظهر فيه أزوريس محاطا بأوراق اللوتس أو ممسكا بيده باقات منها (انظر الشكل ١ والشكل ٢) وكان أزوريس يضع على رأسه تاجا من أزهار اللوتس . وفى الآثار عدة رسوم تثبت أن اللوتس « البشنين الأزرق » Nymphua Ceorulea قد اتخذ شعاراً للوجه القبلى لكثرة وجوده فى مياه النيل بهذه المنطقة .

وبين رسوم الملك الشاب توت عنخ آمون رسم بديع يمثل قرينته وهى تهدى إليه باقة من زهرة اللوتس وقد وقفا فى بستان ، وهذه إشارة إلى ما اجتمع لهما من حب وشباب وجمال .

وهناك فى آثار بنى حسن نقوش على أحجار المدافن تمثل نعاس بعض نباتات البشنين حيث توجد بعض النباتات المائية يتوسطها نبات البشنين ، وقد نشرت زهرها

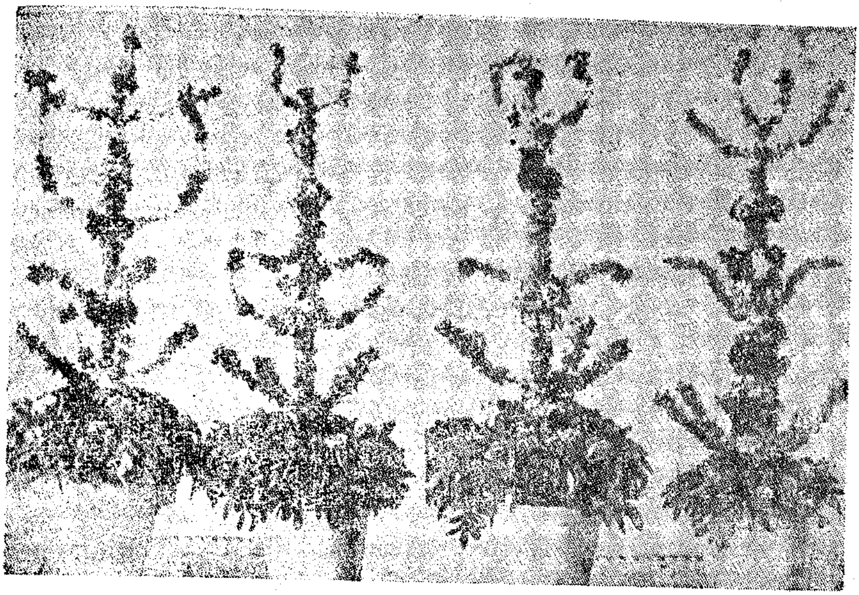

(الشكل رقم ١)

الجميل فى ضوء النهار حتى إذا اختفت الشمس توارت تحت الماء ، وهى ظاهرة أثبتها العلم الحديث تحت اسم « نعاس النباتات »

وقد وجدت سوق اللوتس مشرقة بين أربطة مومياء رمسيس الثانى كما وجدت أزهار كاملة فى مقابر أمنحتب وفى مقبرة الكاهن « باسبوتى » . ويدلنا التاريخ على أن القدماء كانوا يستعملون هذه

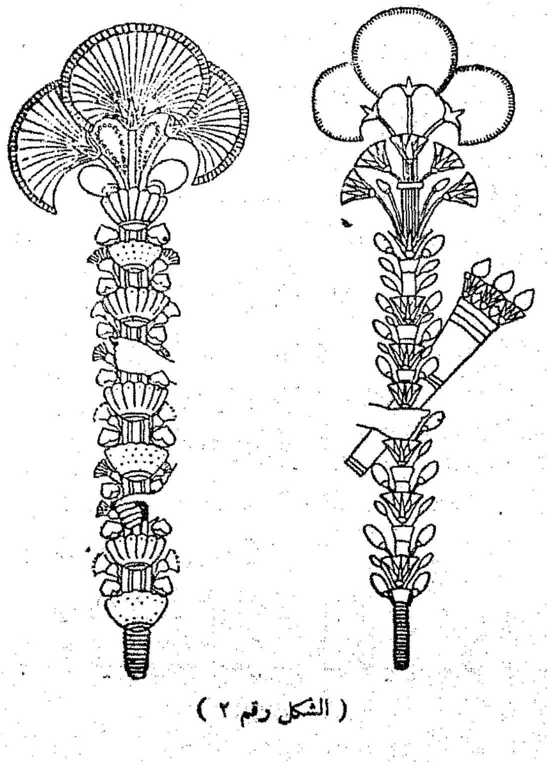

(الشكل رقم ٢)

النباتات فى شئون شتى ، فقد اتخذوا من بذورها طعاما ، وصنعوا منه خبزاً ، وأكلوا جذوره طازجة ومطهية ، وكانت أزهاره تقدم قربانا للمعبودات والموتى ، ولم يقم أى دليل إلى الآن على أن زهرة اللوتس كانت مقدسة وإن كانت اتخذت منها قلائد تقدم للضيوف فى الحفلات ، كما كانت تقدم قربانا لأوزوريس كشىء ثمين . وقد كان نفرتو Neferto ابن الإله « بتاح » Betah وصاحب الوجه الجميل يرمز له بزهرة البشنين مفتحة تخرج منها ريشتان .

ولقد اعتبر قدماء المصريين البردى شعاراً للوجه البحرى ، فوصفه المؤرخ «استرابون» بأنه عصا مستقيمة تنتهى من أعلاها بكتلة من الريش . وكان البردى أكبر مورد للربح عند سكان الوجه البحرى ، فكان يشاهد مزروعا على شواطىء النيل وفريعاته ، ويعنى بزراعته عناية فائقة حتى تتكون به تلك المادة النخاعية التى ظلت تستعمل زمنا طويلا فى الكتابة (صناعة الورق) وكانت تصدر إلى جميع البلاد الممتدة على شاطىء البحر الأبيض ، وكانت جذوره تتخذ غذاء للفقراء ومن سوقه الطويلة تصنع القوارب الخفيفة ، وتصنع من أزهاره الباقات اليانعة والأكاليل المنسقة ، ومن أوراقه وسوقه تصنع الحصر والسلال والحبال والنعال والأكياس ، ومن جذوره يصنع الفحم ، ومن مخلفاته الوقود . ومن لبه الورق حيث يشق إلى شرائح رفيعة ويصف صفوفا ملتحمة تعلوها طبقة أخرى متعاكسة الوضع تلصق بمادة مثبتة وتضغط الطبقتان حتى تتكون منهما طبقة رفيعة تدهن بالزيت لتكتسب المرونة ثم تصقل حتى تصير ناعمة الملمس حسنة المنظر، ثم تحول إلى ملفات للكتابة ، وكان يعمل فى مصانعه المنتشرة بطيبة وممفيس عدد كبير من العمال .

واتخذ الفراعنة البردى رمزاً للإله Sekhmet إله الانتقام والعذاب والحرب، ولم يعرف حتى الآن سبب لذلك الشعار، وربما كان ما عرفناه فى ديننا الإسلامى من أن لكل شخص ملكين رقيبا وعتيدا ، أحدهما لكتابة مايفعله المرء من حسنات والآخر لإحصاء ما يقترفه من سيئات يفسر لنا معنى اعتبارهم البردى سجل الأفكار ومقرر التاريخ من الأجيال رمزاً لهذا الإله العتيد « سخمت » .

أما النباتات الأخرى التى كانت معروفة لدى الفراعنة فلا يعرف منها إلا القليل ومنها :

١ — « الجميز » وقد عرفوه باسم نهت Naht واعتبروه مقدسا لا يزرع إلا بأمر الكهنة ، ووجدت ثماره فى مقابر الأسرتين الأولى والثانية على مقربة من (أبى دوس) مركز البلينا ، ورسمت أشجاره بكثرة على مقابرهم ونقوشهم . وذكر « شوين فورث » أن الجميز جلب إلى مصر من بلاد اليمن فى شبه جزيرة العرب على التحديد مع أشجار اللبخ ، وهذا يدل على اتصال قدماء المصريين قبل الأسرة الأولى بالدول المجاورة ، ومما يثبت معنى هذا القول أن الجميز فى مصر لم يعرف عنه أنه أنتج بذوراً فى يوم ما ، فى حين أنه ينتجها فى بلاد اليمن ، الموطن الأصلى له . والتكاثر الطبيعى لهذا النبات فى مصر من « العقل » يدل على أنه ليس مصرى الأصل ، وتدلنا أوراق البردى على أن أشجار الجميز وردت فى كثير من القصص الدينية والأساطير ، وكان أعز مايتمناه الفراعنة أن تسكن أرواحهم فروع أشجار الجميز ، أو كانوا يعتقدون أن لها جملة آلهة منها « هاتور » إله الحب والزواج ، وكان العشاق يتفيأون وارف ظلها إرضاء للآلهة .

وفى متحف « تورنتو » ورقة بردى تشتمل على أشعار فرعونية تنطق بها أشجار الجميز ، ومنها دعوة فتاة إلى لقاء حبيبها تحت ظلالها مع تعهدها بكتمان السر . وكانوا يعتقدون أن للجميز آلها آخر هو « نوديت » الإله الذى يطعم الموتى الفقراء ويسقيهم حين مغادرة قبورهم ليلتحقوا بالأحياء ، ولعبت أشجار الجميز دوراً كبيراً فى أثاث المقابر والمعابد والتماثيل لتقبلها الألوان واحتمالها الرطوبة .

٢ — الهجليج Palamtes Egyptiaca وكانوا يسمونه Isged وما زالت أشجاره تنمو نمواً طبيعياً فى الصحراء الشرقية بجبل علبة والواحات الخارجه ، وكانوا يستخرجون من بذوره زيتا يستخدمونه فى الطب ودهان الجسم والرأس ، ولايزال الزنوج فى السودان يستعملون زيته المسمى زكون Zachun .

٣ — العبل Tamarix articulata ويعرف باسم أسر ، وكثيراً ما يرى رسمه منقوشا على آثارهم كما وجدت فروع وأوراق منه فى مقابر منف وطيبة « الأقصر » .

٤ — أشجار اليسار Moringa Aptera : وكانوا يسمونها « باك» وكانت منتشرة فى مدينة « آن » عين شمس ، ووجد العلامة « شوين فورث » بذوراً منها فى « أبى المنجا » غرب الأقصر ، كما وجد « فلندر » بذوراً منها فى هوارة بالفيوم ، وكان يستخرج منها زيت يستعمل فى إصلاح الساعات وفى الحروب وسموه « نوثم Noutem » وثماره تعرف باسم جارونا ورمزوا له فى كتاباتهم برسم قرن ، وقد وجد العالم « اونجر Onger » قرن خروب مرسوما على لوحة ضمن القرابين الرثائية ، كما وجد الأثرى « كوتشى Kotchy » عصا منه فى تابوت ، ووجد فلاندر وبترى أيضا بعض قرون وبذور فى مقابر هوارة واللاهون فى الأسرة الثامنة عشرة .

٥ — الحناء Lususonia Lmenmis : وكانوا يسمونها بيكر Piker زرعت ضمن محاصيل الحقل كما تزرع الآن فى الشرقية ، واستعملوها نباتات للزينة بالحدائق ، واستخدموا مسحوقها فى تخضيب الأيدى والأرجل والأظافر وصباغة الشعر وعلاج الجروح واستخرجوا رائحة من أزهارها ، كما أثبت التاريخ أنها أدخلت إلى مصر من آسيا الصغرى فى عصر الدولة الوسطى بين سنة ٢١٠٠ وسنة ١٧٠٠ ق . م . ووجد كثير من (المومياء) مخضباً بالحناء ، وكانوا يعتقدون أن أول شجرة حناء أدخلت إلى مصر زرعت بجوار قبر أزوريس « إله الموتى » بناحية أبى دوس . ولما كان أزوريس سيد أهل الجنة عندهم فلا يستبعد أن يكون اعتقاد العامة من المصريين أن شجرة الحناء أصلها من الجنة منحدرا من معتقدات الفراعنة .

٦ — الدوم Hyphaene Argusm : وهو صنف لايتفرع ، وقد انقرض من مصر ولكنه يوجد بالسودان ، أما النوع الآخر H. Treboica فإنه متفرع ، وما زال فى قنا واسوان والواحات ، ومنه بعض نماذج فى حدائق القاهرة « الأزبكية » وسماه القدماء « ماماخنت Mamakhenet » وقد وجدت ثمار من كلا النوعين فى مقابر طيبة « الأقصر » يرجع عهدها إلى سنة ١٥٨٠ ق.م.

٧ — نخيل البلح وسموه : Beneret وجمعها Bener ورسموه على آثارهم، وكانوا يجدلون خوصه على شكل باقات تزين بالزهور وأوراق الزيتون وترسل

يباركها الكاهن وتحفظ للتبرك والتفاؤل طول العام ، كما ترى الآن فى أعياد المسيحيين يوم أحد الزعف ، والخوص [انظر شكل ٣] .

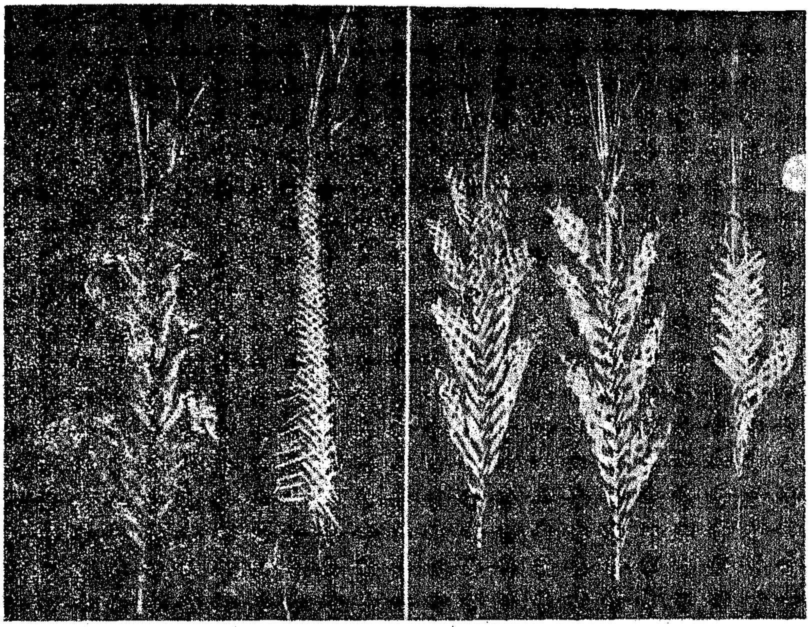

(الشكل رقم ٣)

٨ — الزيتون : « الشجرة المباركة » على حد تعبيرهم ، Olea Europea وقد سموها « ديجت » . Dgeit وكانت تزرع فى كيمان فارس بالفيوم فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، واستخرجوا من ثمارها زيتاً للأكل وإضاءة الهياكل والمعابد ، وأثبتت أوراق البردى أن رمسيس الثالث أهدى إلى كهنة عين شمس قطعة أرض بضاحية (حدائق الزيتون) لزراعتها زيتونا لتموين المعابد بالزيت . وتدل نقوش هرم الملك « تيتى » فى العائلة السادسة على أنهم كانوا يستعملون من فريعاته أكاليل لتزيين رءوس المومياء .

٩ — المخيط : وسموه « موهت » . Mohet واستعملوا ثماره فى صناعة النبيذ ، ووجدت فروع ثمار منه فى كثير من مقابر طيبة وطاطيس .

١٠ — السنط العربى : وسموه شندت Shendet ، وصنعوا من خشبه

السفن ومن صمغه ألوان التصوير والرسم ، ومن عصارة قرونه مواد طبية .

١١ — البرساء Mimusopus Schimperi : وسموه « شوابا » . Shuaba وقد ظلت هذه الأشجار مزروعة فى مصر حتى سنة ١٦٧٠ ، وفى سنة ١٨٨٩ أعاد إدخالها من بلاد العرب إلى مصر شو ينفورث ، وما زالت توجد منها نماذج فى حديقة دار الآثار المصرية بالقاهرة ، وهى شجرة صغيرة الحجم ، بطيئة النمو .

١٢ — الرمان : وكان معروفا جيداً فى الأسرة الثانية عشرة وما بعدها ، واستعملت زهوره فى عهد تحتمس الثالث فى الأكاليل الجنائزية .

١٣ — النبق : وسموه « نبز » Nebes للمفرد ، و « نبسو » للجمع Nebsu وسبب تسميته بشوكة المسيح « ززيفس اسبين كريستى » « Zizyphus spin christi » أنه يقال إن إكليل المسيح عليه السلام ضفر فى بيت المقدس من أغصانه .

١٤ — الصفصاف : وكان يسمى « كارت » Cart من الأشجار التى تزرع على شواطىء الترع كما هو الآن ، وقد وجدت أجزاء منه فى مقابرهم ، كما وجدت أجزاء من الغاب البلدى والصنوبر الجبلى ، وهذا يدل على وجودها فى عصرهم .

١٥ — الورد Rasa : لم تكن زهرة الورد معروفة لدى الفراعنة ، إذ لم يوجد لها أثر فى معابدهم ومدافنهم رغم كثرة ما وجد فيها من رسوم الأزهار ، وقد ظهرت الوردة فى تاريخ مصر منذ عهد البطالسة اليونانيين ويغلب على الظن أنهم جاءوا بها إلى مصر من اليونان . وذكر بعض المؤرخين أن تاييس الحسناء اليونانية التى أصبحت زوجة لبطليموس الأول حملت معها إلى الإسكندرية أول وردة عرفتها مصر ، وأنها أمرت بزرع الورد فى حدائق قصورها فنمى وازدهر ، وكانت أزهاره تعد من أجمل الورود فى ذياك العصر .

وفى سنة ١٩٠٢ اكتشف العالم الفرنسى « جاييه » فى مصر قبر تاييس المسيحية التى عاشت فى القرن الثالث بعد الميلاد بالإسكندرية وصحراء الفيوم ، فوجد فى القبر باقة من الورد محنطة وحالتها جيدة . ويقول المؤرخ شوين نورث الذى مات فى سنة ٢٨٧ ق . م إن الورود فى مصر تنمو بسرعة ، وأزهارها تتفتح قبل أن تتفتح ورود أوربا بنحو شهرين .

ويقول المؤرخ بليني : إن الرومانيين كانوا ينقلون الورود من مصر إلى روما في فصل الشتاء ، كما أن المؤرخ مارسيال قال : إن المصريين كانوا يهدون كميات كبيرة من أزهار الورد إلى الإمبراطور « دومبسيانوس » يوم الاحتفال بعيده ، وقد عاش هذا الامبراطور الروماني في أواخر القرن الأول للميلاد .

وفي عهد الملكة كيلوباترة كانت زهرة الورد هي المفضلة ، فانتشرت في مصر وملأت الحدائق وزينت بها القصور وأصبحت أحب الأزهار إلى سكان مصر جميعاً لا تخلو منها حفلاتهم في مختلف المناسبات .

ولما جاء ماركس أنطونيوس إلى الإسكندرية لأول مرة قابلته كيلوباترة وعلى رأسها عصابة تعلوها الحية الذهبية شعار الملك إذ ذاك ، وفوق العصابة باقة من الورود الحمراء ، ولم تخل من الورد حفلة من حفلاتها أو مأدبة من مآدبها .

وقد احتفلت كيلوباترة بتتويج نفسها على عرش نثرت حوله الورود . ولما سافر يوليوس قيصر إلى روما أرسل يدعوها إلى موافاته فيها، وكانت عاصمة امبراطوريته فلبت دعوته وسارعت إليه حاملة معها هدية من الورد المصرى ، وكان قد عمل من جانبه على تزويد القصر الذى أعده لها فى روما بشجيرات الورد الفاخرة من مختلف أنحاء إيطاليا ، وهكذا عاشت كيلوباترة فى روما بين الورود ، كما كانت تعيش فى الإسكندرية بين الورود .

ولما مات يوليوس قيصر عادت إلى مصر وحملت معها وروداً رومانية إلى الإسكندرية ، كما حملت من قبل وروداً مصرية إلى روما . وفى الإسكندرية شيدت كيلو باترة معبدا باسم قيصر ، وأحاطته بحديقة لم يغرس فيها غير الورد وأقامت عند مدخل المعبد تمثالين أحدهما يمثلها فى صورة إيزيس ، والآخر يمثل قيصرا فى صورة آزوريس . وبين التمثالين وردة من المرمر الأحمر .

أما الأعشاب والزهور فكانت تزرع فى أصص خزفية حمراء كالتى تستعمل الآن ، وكانت تصف صفوفاً طويلة فى المماشى والطرقات .

١٦ — السذاب ، والشيم ، والأنيمون ، والبوپى الأحمر : كانت من النباتات الشائعة لديهم ، وكانوا يستعملون كذلك الأعشاب الطبية ومواد البخور بكثرة فى الحفلات الجنائزية ، وكانوا يحرقون الشيح مع مواد البخور فى حفلات إيزيس ،

كما استعملوها كنباتات للتحديد ، كما يحدث الآن فى الحقول والبساتين .

(الشكل رقم ٤)

١٧ — الكتان : وكانت أزهاره مألوفة جدا لديهم ، كان للمنسوجات التانية شهرة واسعة ، ويدلنا التاريخ على أن تحتمس الثالث فى غزواته لآسيا الصغرى استحضر معه أبصالا منه .

١٨ — الكروكس : كانوا يتخذون منه صبغة الملابس الملكية . أما ملابس الشعب فكانت تصبغ بأصباغ القرطم .

وفى عهـــد حتشبسوت أرسلت أول بعثة زراعية إلى بلاد البنت « الصومال » حيث جلبت معها نباتات

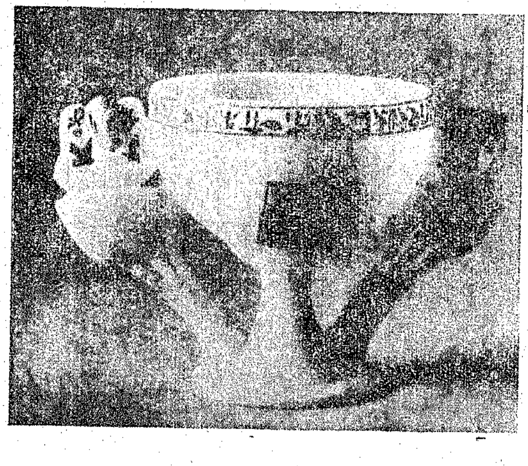

(الشكل رقم ٥)

١٩ — البخور ، واللبان : تدل الآثار المنقوشة بمعبد حتشبسوت فى طيبة على أن هذه النباتات استحضرت ووزعت ، وعلى أنها نمت واستظلت بها الماشية

وكانوا يضعون الأزهـــار المقطوفة فى زهريات جميلة من المرمر أو الغاب ، كما كانوا يضعون الأزهار الصناعية المصنوعة من الأقمشة الكتانية (شكل ٤ ، شكل ٥) .